

نَشْرَةٌ عِلميَّةٌ دَعَويَّةٌ تُعْنَى بِالتُّرَاث والمَخْطُوط والسِّيَر والتَّارِيخ | العدد السَّابِع - المحرَّم ١٤٤١هـ / أوت ٢٠١٩م

الزُّهْدُ غَيْرُ التَّصَوُّف

«السَّعَادَةُ الأَبَدِيَّة»:

رَدٌّ على قَصِيدَة الشَّيخ الطَّاهِر العُبَيدِي

البشير الإبراهيمي وصَدَاقَاتٌ قديمةٌ

رِسَالَةُ الشَّيخ البَشِير الإبراهيمي إلى الشَّيخ عبد القادر القَاسِمِي

مسجد المشور - تلمسان

الفهرس

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

❋ إنَّ الحمد لله نَحمدُه ونَسْتَعِينُه ونَستَغْفِرُه، ونعوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنفسِنا ومِن سَيِّئات أعمالنا، مَن يَهدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِل فلَا هَادِيَ له، وأَشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النِّساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أمَّا بعد: فإنَّ خيرَ الكلام كلام الله تعالى، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحمَّد ﷺ، وشرَّ الأُمُور مُحْدَثَاتُها، وكُلَّ محدثةٍ بدعة، وكُلَّ بِدعةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضَلَالَةٍ في النَّار.



❖ الافتتاحيَّة:

مَنْ اسْتَفَادَ مِنِّي حَرْفًا كُنْتُ لَهُ عَبْدًا!

روى أبو زكريَّا يحيى بن مَنْدَه أنَّهُ قرأ على عَمِّهِ الحَافظ العالِمِ المُحدِّث أبي القاسم عبد الرحمن بن مَنْدَه (ت ٤٧٠ هـ) ـ قولَ شُعبَةَ: «**مَنْ كَتَبْتُ عَنْهُ حَدِيثًا فَأَنَا لَهُ عَبْدٌ**». فقَالَ: «**مَنْ كَتَبَ عَنِّي حَدِيثًا فَأَنَا لَهُ عَبْدٌ**» [«تاريخ الإسلام» للذَّهبيِّ (١٠/ ٢٩٣)]. هذا ـ لَعَمرِ الله ـ خُلُقُ الكِرام، الَّذِينَ يَحفظونَ العهدَ ليسَ فقط لأَشْيَاخِهم ومُعَلِّمِيهم ولِمَنِ استفادُوا مِنهُ، بل حَتَّى لِمَن أَخَذَ عَنهُم واسْتَفَادَ منهُم. مَن علَّمكَ أو أَفادَكَ فقد أحسَن إليكَ وَنفعَكَ، ولَهُ عَليكَ مِنَّةُ الإِحْسَان وإِيصَال النَّفْع، اسْتَعْبَدَكَ واسْتَرَقَّكَ بِهِمَا، وكذلكَ مَن جَلَسَ إليكَ يَستمِعُ ويُفِيدُ منكَ ويَتَعَلَّمُ على يَدَيك، أو قَرأَ في كتابِكَ أو نَظَرَ في صَحِيفتِكَ مُقتبِسًا وَمُستَفِيدًا، فقد أَحسَنَ إِلَيكَ ونفعَكَ، وَلَهُ مِنَّةٌ عليكَ، فيَنبَغِي شُكْرُهُ؛ إِذْ كانَ سببًا في جَرَيَانِ الثَّوابِ لَكَ، وَإِيصال الحَسَنات إليكَ، فَـ«الدَّالُّ على الخيرِ كفَاعِلِهِ»، و«مَن دَعَى إلى هُدًى كان لَهُ مِثلُ أَجرِ مَنِ اهتدَى بِهِ»، و«لَأَن يَهدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا واحدًا خَيرٌ لك مِن حُمْرِ النَّعَم».

وكَمَا يَنتفعُ التَّلاميذُ وطُلَّابُ العلم بِشُيُوخِهم، كذلك يَنتفِعُ الشُّيوخُ بطَلَبَتِهِم وتلاميذِهِم، ومَا انتفاعُهُم إلَّا بِدَعَواتٍ صالحات وأُجُورٍ مُتتابعات وحَسَنَاتٍ جَارِيَات. كان الإمام سَحنون رَحِمَهُ اللهُ يَتَرَجَّى أن يَصِلَ إليهِ النَّفعُ مِن واحِدٍ مِن طلبتِهِ ومَن يتعلَّمون مِنهُ، فكان يقولُ: «**مَا أُرِيدُ مِنْهُم إِلَّا لَعَلَّ اللهَ يَنْفَعُنِي مِنْهُم بِوَاحِدٍ**» [«رياض النُّفُوس» لأبي بكر المالكي (١/ ٣٧٣)].

هذا وإنَّ مَن اسْتَفَادَ مِنِّي حَرْفًا ونَفَعَهُ اللهُ بِهِ، فازداد بِهِ إيمانًا وعملًا صالحًا أو عَرَفَ بِهِ هُدًى وصراطًا مُستقيمًا ـ كنتُ لهُ مُمْتنًّا، قد طَوَّقت مِنَّتُهُ رقبَتِي!؛ مُعتَرِفًا بِفَضْلِهِ، ذاكِرًا لإِحسانِهِ، رَاعِيًا لِمعروفِهِ، حافِظًا لِعَهْدِهِ، مُلَازِمًا لِشُكْرِه، لَاهِجًا بالدُّعاءِ لهُ.

رَوَى القاضي عياض بإسنادِهِ إلى الإمام إسحاق بن رَاهَوَيْه (ت ٢٣٨ هـ) أَنَّهُ كان يقول: «**لَا أَنَامُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَّا أَدْعُو لِمَنْ كَتَبَ عَنَّا وَكَتَبْنَا عَنْهُ**»[«التعريف بالقاضي عياض» (ص٦٧)].

أبو محمد سمير مراد

❖ عَقِيدَةٌ وَتَوْحِيدٌ:

البِنَاءُ عَلَى القُبُورِ، وَتَقْدِيمُ النُّذُورِ لِأَصْحَابِهَا

الشَّيخ أحمد حمَّاني رَحِمَهُ اللهُ
رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر

* **السُّؤَال:** في حديثٍ عَن رَسُولِ الله ﷺ يقول: «لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ والنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِد»، وفي حديثٍ آخر، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ». ورِوايةُ الشَّيخَين: «قَاتَلَ اللهُ اليَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». ونَحنُ نَرَى اليوم كثيرًا مِن النَّاس قَد أَقَامُوا المساجد على قبور الصَّالِحِين، ومِنهُم مَن يَذْبَح حَذْوَهَا، ويَجتَمِع النَّاس بِهَا بِكَثْرَةٍ، وفِيهِم مَن يُسَمِّي الشَّاةَ المَذْبُوحَةَ لِلوَلِيِّ، ويَظُنُّ أَنَّهُ سَيَتَوَسَّطُ بَيْنَهُ وبَيْنَ الله. فهَل يَحِلُّ لِلمُؤمن أَن يَأكُلَ مِن ذلك الطَّعام الَّذي صُنِع عند القَبر أو حَذْوَهُ؟ وهَل لِمُؤمِنٍ أَن يَتعاطَى عملًا؛ تجارة أو غيرها في هذه السُّوق؟

ومِن السَّائلين أو الشَّحَّاذِين مَن يُقبِل حَامِلًا بين يَدَيهِ (علَمًا) ويقول: «بِبَرَكَةِ الله وسيدي فلان (الوَلِيّ الصَّالِح) اعطِني زيارةَ هذا الوَلِيِّ الصَّالِح»، يعني: اعطِني ما نَذَرْتَهُ لهذا الوَلِيِّ مِن نُقُود). فهَل يَجُوزُ لِلمُتَصَدِّقِ أَن يُعطِيَهُ شَيئًا لله، وقَد نُهِي عَن قَولِ مِثلِ هَذَا، فلَم يَستَجِب؟

ومِن هؤلاء السَّائِلِين مَن يَقُولُ لِلنَّاس: خُذْ هذا (العَلَم) إلى دَارِك وبَخِّرْهُ يُصلِحِ اللهُ لَكَ والوَلِيُّ في الأَولاد والزَّوج ويَعمر بِالخَير والبَرَكَة مَنزِلَك.

* **الجواب:**

«الحمد لله والصَّلَاة والسَّلَام على رَسُولِ اللهِ.

– **أَوَّلًا:** الإسلام دين التَّوحيد الخَالِص، وتَنْزِيهِ اللهِ سبحانه عَن كُلِّ شِرْكٍ خَفِيٍّ أو جَلِيٍّ، وهُو أَغْنَى الشُّرَكَاء، فلَا يَقبَل مِن الأَعمال إلَّا ما كان لِوَجهِهِ خَالِصًا، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠]، وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البيِّنة:٥]، وقال: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر:٣]. وقد حَذَّرَ اللهُ في كِتَابِهِ مِن كُلِّ مَدَاخِلِ الشَّيطان ووَسَاوِسِهِ، وجَعَلَ مِن أَنواعِ الشِّرك حديث النَّفْسِ بِالمُرَاءَاة، وبلَّغَ ذلك نبيُّنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ونَصَح،

ومِن أنواع بيانه وتبليغه وتحذيره، هذا الحديثُ في لعن مَن قبلَنا مِن أهل الكتاب، لأَنَّهُم نَصَبُوا أَنْصَابًا كانت فِتنةً لِمَن جاء بعدهم، فالأنبياءُ أفضل عباد الله، وتَعظيمُهُم أحياءً وأمواتًا وتَوقِيرُهُم مِن أَوْكَدِ الواجبات على المؤمنين، ولكن هذا التَّعظيم لَا يجوز بِحَالٍ أَن يَبلُغَ حَدَّ عبادتهم، ودعائهم من دون الله. واتِّخاذ المساجد على قبورهم وسيلةٌ لِفتنةِ الخَلْقِ وإِضْلَالِهِم، وإذا كان مَن يَتَّخِذُ المساجد على قبور الأنبياء مَلعونًا، فأَوْلَى وأَحْرَى مَن يَتَّخِذ الأَنْصَاب أو المساجد على قبورهم مِن الأَولياء والصَّالحين. وجاء في الحديث الَّذي رواه البخاريُّ وغيرُه عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ أَصنام قومِ نُوحٍ الَّتي جاء ذِكرُها في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣﴾[نوح:٢٣]، هي: «**أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِن قَومِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوحَى الشَّيطَانُ إلى قَومِهِم أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجْلِسِهِم الَّذي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهِ أَنْصَابًا وسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِم، ففَعَلُوا، فَلَم تُعْبَد حَتَّى هَلَكَ أُولَئِكَ ونُسِخَ العِلْمُ فَعُبِدَت**» اهـ. فالحديثُ النَّبويُّ يَلعن اليهود والنَّصارى لِاتِّخاذهم قبور أنبيائهم مساجد، تَحذيرًا للمسلمين، أَن يَفعلوا فِعلَهم، ويَسلُكوا طريقَهم في قبر نبيِّهم، وأَوْلَى وأَحْرَى في قبور غيره مِن قومٍ صالحين حقًّا، أو نُسِبُوا إلى الصَّلَاح زُورًا.

وقد امتثل الصَّحَابَةُ (رضوان الله عنهم) حُكم الإسلام في قبر نبيِّهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولم يُدفن بالمسجد، وإنَّما دُفِن ببيت أُمِّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، ثُمَّ لَمَّا وُسِّع المسجد بعد ضِيقِهِ في عهد الوليد بن عبد الملك أَدخَلَ فيهِ بيتَ عائشة كُلَّهُ، ولَكِنَّهُ بقي مَفصولًا بِحاجزٍ مَتِينٍ، حتَّى لَا يكون قَبرُهُ ﷺ مَسجدًا يُصَلَّى فيه، وهكذا نَتَحَقَّقُ أَنَّ اللهَ استجاب دُعَاءَهُ، أَلَّا يَجعَلَ اللهُ قَبرَهُ مَسجدًا، قال القاضي عياض عند شَرحِهِ قَولَ الرَّسُول ﷺ: «**قَاتَلَ اللهُ اليَهُودَ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِد**» ما نَصُّهُ:

«لَمَّا كانت اليهود يَسجدون لِقُبُور أَنبيائهم تعظيمًا لِشَأنِهِم ويَجعلونها قِبلَةً

ويَتَوَجَّهُون في الصَّلَاة نحوها، فاتَّخَذُوهَا أَوْثَانًا، لَعَنَهُمُ اللهُ، ومَنَعَ المسلمين مِن مِثْلِ ذلك، ونَهَاهُم عَنْهُ» اهـ.

وقد غَفَلَ المُتَأَخِّرُون مِن المُسلِمِين عَن هذا التَّحْذِير، وخُصُوصًا مُنْذُ عَهْدِ حُكْمِ البَاطِنِيَّة مِن غُلَاةِ الشِّيعَة، فبَنَوا المساجد والقِبَاب على القبور، وغَلَوا فيها غُلُوًّا شنيعًا، ومَلَكَهُم مِن وساوس الشَّيطان ما مَلَكَ مَن قبلَهم قومَ نُوحٍ واليهودَ في أنبيائهم، والنَّصارى في رُهبانهم، واتَّخذوا هذه القبور والمساجد المُشَيَّدَةَ عليها مَزَارَاتٍ ومَشَاهِد تُشَدُّ إليها الرِّحَال، ونَصَبُوا نُصُبًا لِلعبادة تُقَدَّمُ لها القَرَابين والنُّذُور، ويُتَمَسَّحُ عليها، وتُطْلَبُ شفاعتُها، وكان رجاؤهم فيها أقوى مِن رجائهم في الله، وخَشْيَتُهُم منها أَشَدُّ مِن خَشْيَةِ اللهِ. فهؤلاء مَلْعُونُونَ كما لُعِنَتِ اليهود والنَّصارى بِنَصِّ الأحاديث الَّتي رواها رجال الصِّحَاح، ومنها ما تَقَدَّم، ومنها: ما رواه التِّرمذيُّ والحاكم وغيرهما، عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لَعَنَ اللهُ زَائِرَاتِ القُبُورِ والمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا المَسَاجِدَ والسُّرَاج**» اهـ.

قال ابن القَيِّم في شرحه هذا الحديث: «هذا وأَمثالُهُ مِن المصطفى ﷺ صيانةٌ لِحِمَى التَّوحيد أَن يَلحَقَهُ الشِّرك ويَغْشَاه، وتَجرِيدًا له، وغضبًا لِرَبِّهِ أَن يُعدَلَ بِهِ سِواه. وقال الشَّافعيُّ: «أَكْرَهُ أَن يُعَظَّمَ مَخلوقٌ حَتَّى يُجعَلَ قَبرُهُ مَسجدًا، مَخافةَ الفِتنةِ عليهِ وعلى النَّاس». وتُستعمَلُ الكراهةُ عند الأَئِمَّةِ بِمعنى المَنعِ والتَّحريم. وأَمَّا إِيقَاد السِّرَاج فقال فيهِ المُناويُّ: لأَنَّهُ تضييعٌ لِلمَال بِلَا فائدة، وظاهِرُهُ تحريم إِيقاده (السِّرَاج) على القبور؛ لأَنَّهُ تَشبيهٌ بِالمساجد الَّتي يُنَوَّرُ فيها للصَّلاة، ولأَنَّ فيهِ تَقريب النَّار مِن الميت، وقد ورد النَّهيُ عنه في أبي داود وغيره، بل نَهَى أبو موسى الأشعريُّ عن البُخُور عند المَيِّت» اهـ.

وما جاء في السُّؤال – وهو الشَّائع في أنحاء الأقطار الإسلاميَّة، مِن تَجَمُّع النَّاس بكثرةٍ حول هذه القُبور وتقديم القَرَابين، وذَبحِها عندها، وفيهم مَن يَذكرُ اسمَ الوَلِيِّ عند الذَّبح عليها، ويَدعُو الوَلِيَّ ويظُنُّ أَنَّهُ سَيَتَوَسَّط بينه وبين الله – يُبَيِّن ما وَصَلَت إليه حالةُ المُنتسِبين إلى

الإسلام، وما وَرَّطَهُم فيهِ الشَّيطان، مع أَنَّ دِينَهُم يَبرأُ مِن مِثلِ هذا. فالرِّحَالُ لَا تُشَدُّ إِلَّا إلى ثلاثةِ مساجد: بيت الله الحرام، ومسجد النَّبيِّ ﷺ بالمدينة، والمسجد الأقصى بالقُدس. والسَّفَر إلى غير هذه المساجد بِدعةٌ، وكُلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكُلُّ ضلالةٍ في النَّار.

الذَّبح لغير الله:

وذِكرُ اسمِ أحدٍ مِن المخلوقات على الذَّبيحة، يُحَرِّمُ أَكلَها وأَكلَ ما صُنِع بِلَحمِها مِن الطَّعام، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقال في المُحَرَّمات: ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [النحل:١١٥]، وقال: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الأنعام:١٤٥]، فسَمَّاهُ اللهُ سبحانه (فِسْقًا). قد فَسَّر ذلك الإمام عليٌّ «كَرَّمَ اللهُ وَجهَهُ في الجَنَّة» بِمَا يَشمَل ما ذُبِح لِلفَخر والمُبَاهَاة، وإِن ذَكَرَ اسمَ اللهِ عند نَحْرِهِ أو ذَبْحِهِ، فقد جاء عنه أَنَّهُ نَهَى عن أَكلِ لحمِ إِبِلٍ نَحَرَهَا والدُ الفَرَزْدَق وسُحَيم بن وثيل الرِّياحي، مُباهاةً وتَنَافُسًا بينهما وتَفَاخُرًا، إِذ لم يَقْصِدَا بِنَحْرِهَا وَجهَ اللهِ، وإِنَّمَا قَصَدَا المُفَاخَرة، فلَم يَنفع فيها ذِكرُ اسمِ اللهِ عليها بِاللِّسان لِفَسَاد النِّيَّة والجَنَان.

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر:٣]:

وأَمَّا ظَنُّهُم بِالوَلِيِّ أَنَّهُ سَيَتَوَسَّط بينهم وبين الله، فإِنَّ هذا الاعتقاد شِركٌ وضلالٌ مُبِينٌ، وخُروجٌ عن سبيل المؤمنين، وسُلُوكٌ لِسَبيلِ المشركين، فالمُشركون أيضًا كانوا يَعتقدون أَنَّ اللهَ هُو الَّذي خَلَقَهُم وخَلَقَ السَّمَاوَات والأَرَضِين، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزُّخرُف:٨٧]، وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزُّمَر:٣٨]، ولكنَّهم كفروا بما أَشركوا بِاللهِ في عبادتهم حيثُ قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر:٣].

فالتَّوجُّه إلى المخلوق المَيِّت الفَانِي، أو إلى قَبرِهِ بِالدُّعاء لِيَتَوَسَّط عند الخَالِق،

عبادةٌ لَهُ، وهُو لَا يَملِكُ لِمَن تَوَجَّهَ إليهِ نفعًا ولَا ضَرًّا، ولا يَسمع دُعاءَ مَن دَعَاهُ وهُو مَيِّتٌ جَمَادٌ، ويَتبَرَّأُ مِمَّن دَعَاهُ يومَ القيامة كما قال سبحانه: ﴿ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ [فاطر:١٤].

ومَن دَعَا وَلِيًّا عِندَ قَبرِه، أو تَمَسَّحَ بِضَرِيحِهِ، أو رَجَاهُ وطَمِعَ فيه، أو خَافَ منه، فقد عَبَدَهُ مِن دُون الله، أو مَعَ الله، لأَنَّ الدُّعاء عبادةٌ، كما جاء في الحديث: «**الدُّعاءُ هُوَ العِبَادَةُ**»، وفي روايةٍ: «**الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ**». فمَن تَوَجَّهَ إلى مَخلوقٍ يَطلُبُ مِنهُ جَلْبَ نَفْعٍ، أو دَفْعَ ضُرٍّ مِمَّا وراء كَسْبِ العبد، فقد عَبَدَهُ.

قال الشَّوكانيُّ في «نيل الأوطار» ما نَصُّهُ: «ومِن رَفْعِ القُبور الدَّاخِل تحت الحديث دُخُولًا أَوَّلِيًّا: القِبَب والمَشَاهِد المَعمورة على القُبُور، وهُو مِن اتِّخاذ القُبور مساجد. وقد لَعَنَ النَّبيُّ ﷺ مَن فعل ذلك. وكَم سَرَى عَن تَشييد أَبنيةِ القُبور وتَحسينها مِن مفاسد يَبكي لها الإسلام؛ منها: اعتقاد الجَهَلَة لها كاعتقاد الكُفَّار للأصنام، وعَظُمَ ذلك؛ فظَنُّوا أَنَّها قادرةٌ على جَلْبِ النَّفع ودَفْعِ الضُّرِّ، فجعلوها مَقصدًا لِطلب قضاء الحوائج، ومَلجأً لِنجاح المَطالب، وسألوا منها ما يَسأَلُهُ العباد مِن رَبِّهم، وشَدُّوا إليها الرِّحَال، وتَمَسَّحُوا بها واستعانوا بها. وبِالجُملة إِنَّهُم لم يَدَعُوا شيئًا مِمَّا كانت الجاهليَّةُ تَفعلُهُ بِالأَصنام إِلَّا فَعلُوهُ، فإِنَّا لله وإِنَّا إليه راجعون... **ثُمَّ قال**: إِنَّ كثيرًا مِن هؤلاء القُبُورِيِّين أو أكثرهم إذا تَوَجَّهَت عَلَيهِ يَمِينٌ مِن جِهَةِ خَصمِهِ حَلَفَ بِاللهِ فَاجِرًا، فَإِذَا قِيلَ لَهُ بعد ذلك: احْلِف بِشَيْخِكَ ومُعْتَقَدِكَ الوَلِيِّ الفُلَانِي تَلَعْثَمَ» اهـ.

ومِمَّا تَقَدَّم يَتبَيَّنُ ما وصل إليه المسلمون مِن انغماسٍ في ظُلُمات الشِّرك فِعْلًا، وهُم يُرَدِّدُون بِأَلسنتِهِم كلمةَ التَّوحيد، ويَتبَيَّن أيضًا جوابُ الأَسئلة المَطروحة:

١- مَن صَلَّى عند القبر، أو في المسجد المُتَّخَذ عَلَيهِ، فقد صَلَّى في مكانٍ لُعِن مَن اتَّخَذَهُ مَسجدًا وشَيَّدَ عَلَيهِ مَعبَدًا، ونَصَبَ فيهِ نُصُبًا تُمَارَسُ فيهِ طُقُوسٌ شِركِيَّةٌ، والأَجْدَرُ بِالمُؤمن المُوَحِّد أَن يَعبُدَ اللهَ مُخلِصًا له الدِّين، بَعِيدًا عَن مِثلِ هذا

المكان.

٢- لَا يَجوز ذَبحُ النُّذُور والقَرَابِين عند هذه القُبور، ومَن قَصَدَ بِالذَّبح التَّقرُّبَ لِصاحبِ القبر طَلَبًا لِرِضَاهُ، أو اجتنابًا لِسَخَطِهِ، أو انتظارًا لِجَلبِ نَفعٍ مِنهُ، أو بواسطته، أو دَفعِ ضُرٍّ، كذلك فقد أَشركَ بِاللهِ، والذَّبيحةُ مِمَّا أُهِلَّ لِغَيرِ اللهِ بِهِ لَا يُؤكَلُ لَحمُهَا، ولَا ما صُنِعَ بهِ مِن طعامٍ، ولَو ذُكِرَ اسمُ اللهِ عليهِ، لأَنَّهُ فِسْقٌ أُهِلَّ لِغَيرِ اللهِ بهِ.

٣- مَن ظَنَّ أَنَّ الوَلِيَّ يَتَوَسَّطُ بَيْنَهُ وبَيْنَ اللهِ، فقَد أَشْرَكَهُ معَ اللهِ.

٤- لَا يَنبَغي لِمُؤمنٍ مُوَحِّدٍ أَن يُشَارِك هؤلاء النَّاس في مَوْسِمِهِم وسُوقِهِم، ولَا أَن يقوم بِأَيِّ عَمَلٍ فيهِ، أو تجارة، لأَنَّ هذه المُشاركةَ تَكثيرٌ لِسَوَادِهِم، وجَلْبُ التِّجارة إليهم عَونٌ لَهُم على باطلهم، وإِن خَافَ عَيْلَةً أو كَسَادًا، فسَيُغْنِيهِ اللهُ مِن فَضلِهِ، أَمَّا إذا قَصَدَ المُسلم الذَّهَابَ هُناك لِيُرشِدَ الضَّالِّين، ويَهْدِي الغَاوِين، ويَقُومَ فيهم بِالأَمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، فإِنَّ هذا مِمَّا فُرِضَ على طائفةٍ مِن المسلمين، على أن لَا يَأكُلَ مِمَّا يَصنَعُون مِن طعامٍ، أو مِن قَرَابِينِهِم وذَبَائِحِهِم.

٥- إِنَّمَا تُدفع الصَّدَقَةُ لِوَجهِ اللهِ، ومَن سَأَلَهَا لِغَيرِ اللهِ حُرِمَ مِنهَا.

٦- اتِّخاذ الأَنْوَاط (الأَعْلَام والصَّنَاجِيق والبَخَانِيق) ورَفْعُها على مِثل هذه الأَضرحة أو الأشجار أو الأَحجار، والتَّبَرُّك بِها، وتَبْخِيرُها، والتَّمَسُّح بها، واعتقاد تَدَخُّل الوَلِيِّ الَّذي رُفِعَت على ضَرِيحِهِ لِجَلْبِ نَفْعٍ أَو دَفْعِ ضُرٍّ في الأَولاد والزَّوج والمَنزِل، مِن فِعل المُشركين يَتَبَرَّأُ مِنهُ المُوَحِّدُون مِن المؤمنين، ولَا يَجوزُ دَفعُ شيءٍ إِلَيهِم ولَا إِقرَارُ فِعلِهِم» اهـ [«فتاوى الشَّيخ أحمد حمَّاني» (٢/ ٥١٢-٥١٨)].



❖ سَبِيلُ السُّنَّة:

الزُّهْدُ غَيرُ التَّصَوُّف

تَقدِيم: العلَّامة مُحِبّ الدِّين الخَطِيب رَحِمَهُ اللهُ

* قال في: العدد (٨٣١)، (ص١٣-١٤)، مِن صحيفَة «الفَتْح»، تحت عنوان: «**الزُّهْدُ غَيرُ التَّصَوُّف**: بيانٌ دقيقٌ بقلم إمامِ الواعظين الشَّيخ الزَّاهد أبي الفرج بن الجوزيِّ المُتوفَّى سنة ٥٩٧هـ»:

«ولمَّا كان كثيرٌ مِن بُسَطَاءِ المسلمين لا يُفَرِّقُ بين مَدْلُولِ الزُّهد والصَّلاح الَّذي كان عليه أولياءُ الإسلام وأنصاره وخواصُّ رجاله في زمن الصَّحابة والتّابعين، ومَدْلُولِ «التَّصوُّف» الَّذي يُعَدُّ مَذهبًا معروفًا عند أصحابه وكان له في الصَّدْرِ الأوَّل صِفاتٌ وأخلاقٌ مخصوصة، ثمَّ أَمْعَنَ أهلُهُ في الغُلُوِّ فجعلوه فَلْسَفةً تَتعرَّضُ للقَوْلِ في صَمِيم الدِّين بما لا يَعرفُهُ الإسلام ولا يَتَّفقُ مع نُصوصه، رأينا أن نَقتطِفَ مِن أقوال الإمام أبي الفرج ابن الجوزيِّ في مقدِّمةِ «صفة الصَّفوة» فقرات تشير إلى هذا الموضوع، وأخرى لا تقلُّ عنها أهمِّيَّة، **اعتقادًا مِنَّا بِأَنَّ هذا البَيَان مِمَّا يَجِبُ على كُلِّ مُسلِمٍ الوُقُوفُ عَلَيه**.

قال الإمام ابن الجوزيِّ وهو يَسْتَعْرِضُ مَوَاطِنَ النَّقْدِ في كتابِ أبي نُعيم:

«**والخَامِس**: أنَّهُ ذَكَرَ في كتابه أحاديثَ كثيرةً باطلةً ومَوضوعةً، فقَصَدَ بِذِكْرِهَا تَكْثِيرَ حَدِيثِهِ وتَنْفِيقَ رِوَاياتِهِ، ولم يُبَيِّن أنَّها مَوضوعةٌ، ومَعلومٌ أنَّ جُمهور المائِلين إلى التَّبَرُّرِ يَخفَى عليهِمُ الصَّحِيحُ مِن غيرِهِ، فسَتْرُ ذلكَ عنهُم غِشٌّ مِن الطَّبِيبِ لَا نُصْحٌ ...

والسَّابع: إضَافةُ التَّصوُّف إلى كِبَارِ السَّاداتِ؛ كأبِي بكرٍ وعُمر وعُثمان وعليٍّ والحَسَن وشُرَيحٍ وسُفيان وشُعبة ومَالِك والشَّافعي وأحمد، **ولَيْسَ عندَ هؤلاء القَوْمِ خَبَرٌ مِنَ التَّصَوُّف**.

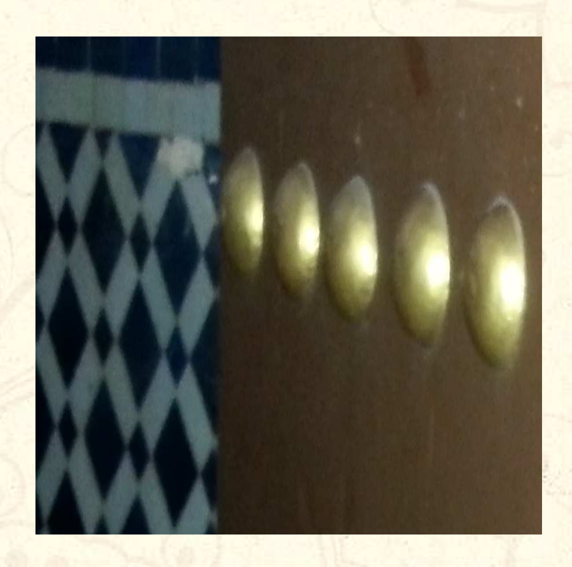
فَإِن قال قائلٌ: إنَّمَا عَنَى بِهِ الزُّهْد في الدُّنيا، وهؤلاء زُهَّادٌ، قُلنا: **التَّصَوُّفُ مَذهبٌ مَعروفٌ عندَ أصحابِهِ، لا يُقْتَصَرُ فِيهِ على الزُّهْد، بل لَهُ صِفاتٌ وأَخلَاقٌ يَعرِفُهَا أَرْبَابُهُ، ولَوْلَا أَنَّهُ أَمْرٌ زِيدَ على الزُّهْد، مَا نُقِلَ عن بعضِ هؤلاء**

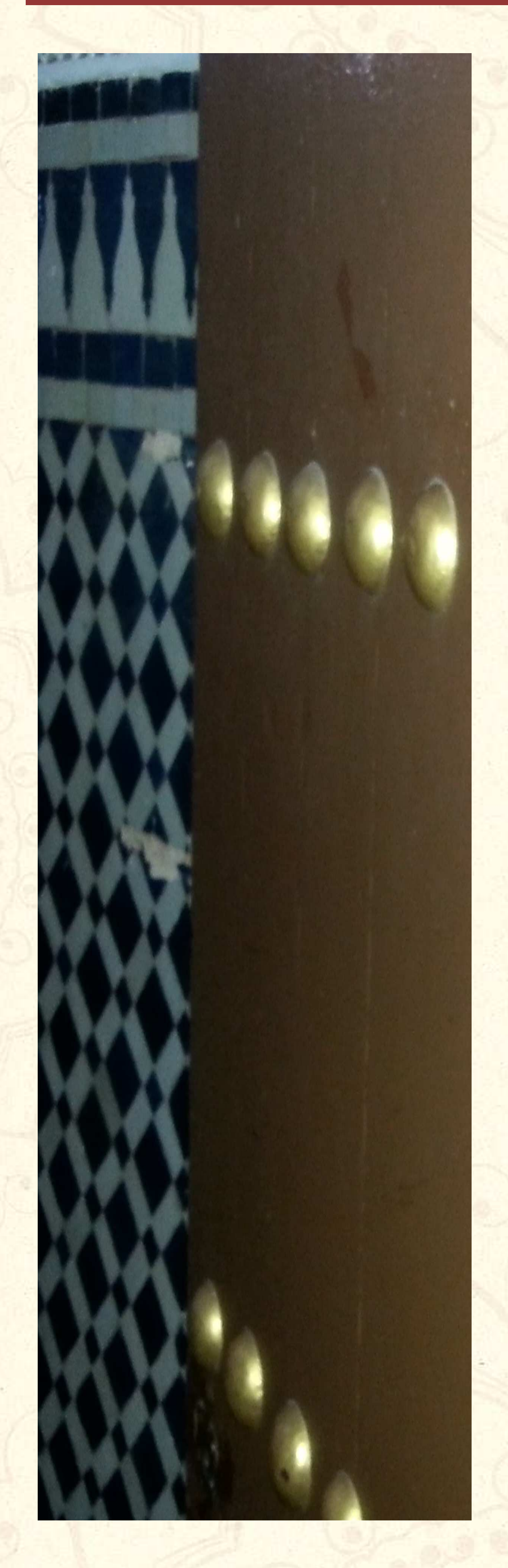
المَذكُورِينَ ذَمُّهُ، فإِنَّهُ قد روى أبو نعيم في ترجمةِ الشَّافعيِّ (رحمةُ الله عليه) أَنَّهُ قالَ: «التَّصوُّفُ مَبْنِيٌّ على الكَسَل، ولَوْ تَصَوَّفَ رجُلٌ أَوَّلَ النَّهَارِ، لم يَأْتِ الظُّهْرُ إلَّا وهُوَ أَحْمَقُ»، وقد ذكرتُ الكلامَ في التَّصَوُّفِ ووَسَّعتُ القولَ فيه في كتابي المسمَّى بِـ «تلبيس إبليس»...

والتَّاسِع: أَنَّهُ ذَكَرَ أشياءَ عن الصُّوفيَّة، لا يَجُوز فِعْلُها، فرُبَّمَا سَمِعَهَا المُبتدِىءُ القَلِيلُ العِلْمِ، فظَنَّهَا حسنَةً فَاحْتَذَاهَا...»

اهـ.







❖ آثَارٌ سَلَفِيَّةٌ:

كَلِمَاتٌ في الصَّمِيم!

❋ في المؤتمر السَّنويِّ العام لجمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريِّين، وفي يوم الجمعة ١٩ رجب ١٣٥٦هـ= ٢٤ سبتمبر ١٩٣٧، وبعد خطبة الأستاذ الرئيس ابن باديس ثُمَّ خطبة الأستاذ العربي التبسي، خطبَ الأستاذ البشير الإبراهيمي: «... ثُمَّ تخلَّصَ الأُستاذ للحديث عن مَسألةٍ مِن أخطر المسائل في حياةِ الأُمَم واتِّجاهاتِها؛ تِلك هِيَ **مَسألةُ الدِّعَايَة ومَا أَدراكُم ما الدِّعَايَة!** وبيَّن بالأَدِلَّة القَاطِعة ما لِلدِّعَايَة مِن آثار ونتائج، ولأَجلِ هذا كانت الدُّول الإِسلاميَّة في عصور شبابها وازدهارها تُعْنَى بها عنايةً كُبرَى، وتُخَصِّصُ لها رِجالًا لَا عَمَلَ لَهُم إلَّا القِيام بِمُهِمَّة الدِّعَايَة، وضَرَبَ مِثالًا على خُطورَةِ الدِّعَايَة في الزَّمَن الماضي بِأَبي مُسلمٍ الخُرَاسَانِيِّ وأبي عبد الله الشِّيعيِّ وجَوْهَرٍ الصِّقِلِّيِّ، وكيف استطاعت الدِّعَايَةُ بواسطةِ هؤلاء أن تُمَثِّلَ دورًا مِن أَخطَرِ أَدوَارِ التَّاريخ - وعلى خُطورتِها في الزَّمَن الحَاضِر بِقِيام الطُّرُقِيَّة وانتشارِ مَفاسِدِها ووَيْلَاتِها» اهـ

[«الشِّهاب»، م١٣، ج٨، (ص٣٤٣-٣٤٤)]

❋ في المؤتمر السَّنويِّ العام لجمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريِّين، وفي يَومِهِ الثَّاني: السَّبت ٢٠ رجب ١٣٥٦هـ= ٥٤ سبتمبر ١٩٣٧، وفي خِتام المؤتمر: «... قام الأستاذ الإبراهيمي وأعلَنَ للحاضرين عن عَزْمِ الجمعيَّة على تأسيس «**كُلِّيَّةٍ إسلَامِيَّةٍ**» بِعاصمةِ الجزائر، وبَيَّنَ المَوانِع الَّتي قَعَدَت بِالجمعيَّة عن القيام بهذه المُؤسَّسَة لحَدِّ الآن، ثُمَّ قال: وإِنَّ بناء الكُلِّيَّة يَستَدْعِي مِنَّا تَحضِير المَلَايين الكثيرة مِن الفِرَنْكَات، **وأَرجُو أَن لَا تَهلَعُوا مِن ذِكْرِ المَلَايين**؛ فإِنَّ الأُمَّةَ الَّتي شَيَّدَت «مدرسة الشَّبيبة» في الجزائر و«التَّربية والتَّعليم» في قسنطينة و«تهذيب البنين» في تبسَّة و«دار الحديث» في تلمسان، لَا يَصعُبُ عليها أَن تُؤَسِّسَ كُلِّيَّةً في عاصمة الجزائر، **إِذَا هِيَ وَجَدَت دِعَايَةً مُنَظَّمَةً وعَزَائِمَ مُرْهَفَةً وقُلُوبًا مُخلِصَةً**» اهـ

[«الشِّهاب»، م١٣، ج٨، (ص٣٤٨)]

❋ قال الشَّيخ البشير الإبراهيمي (سنة

١٣٧١هـ= ١٩٥٢م)، في حفلة تكريمٍ لهُ في العراق أقامها لهُ في دارِهِ تلميذُهُ الدكتور محمَّد فاضل الجمالي:

«إنَّ الأجانب في بلاد العروبة قد جَلَوْا عَنْهَا بِأَبْدَانِهِم، ولكِنَّهم ما زَالُوا فيها بِأَرْوَاحِهِم؛ بِمَا خَلَّفُوا فيها مِن تَوجِيهٍ وإِيحَاءٍ وأَنْظِمَةٍ وأَهْدَاف، فكَأَنَّهم جَلَوْا ولَم يُجْلَوْا» اهـ.

* وقال عن رجال السِّياسة: «إِنَّ حُمَّى الحِزْبِيَّة قد بَاعَدَت بينهم وأَلْهَتْهُم عن العَمَل مُتَّحِدِين لِرَفْع شَأْنِ هذهِ الأُمَّة، وكان الجَدِير بِهِم والأُمَّةُ تَجْتَازُ دورًا عَصِيبًا أَن يَتَّحِدُوا ويَتعَاوَنُوا على النُّهُوض بها في كُلِّ مَجالٍ مِن مَجالات الحياة» اهـ [عن جريدة «اليقظة»: «البصائر»، السلسلة الثانية، العدد (١٩٩)، (ص٦)].

* في عـام (١٣٧٢هـ = ١٩٥٢م)، وَفي الجلسة الختامية للمجلس الإداري لجمعية العلماء، ألقى نائب الرَّئيس الشَّيخ العربي التبسي خطابًا قال فيهِ: «... إِنَّ العَالَمَ العَرَبِيَّ أَجمَعَ قد عَرَفَ هذه الآونَةَ الأَخِيرَةَ حَقِيقَةَ المُسْلِمِ الجزائريِّ، بتِلك المواقف العظيمة الباهرة لِرَئِيسِنا الشَّيخ البَشِير الإبراهيمي، وبِخُطَبِهِ ودُرُوسِهِ ومُحَاضَرَاتِهِ، وأَعْمَالِهِ الجَلِيلَةِ الغَالِيَة، فَلْيَعْلَمِ العالَمَ في الشَّرق وفي الغرب أَنَّ الإبراهيميَّ لَيْسَ فَلْتَةً مِن فَلْتَاتِ الطَّبيعةِ عندنا، ولْيَسْتَعِدَّ كُلٌّ مِنَّا لأَن يَقفَ مواقف البَشِير، وأَن يَكُونَ لَنَا عِلْمُهُ ونُبُوغُهُ وفَصاحَتُهُ، فالعَارُ كُلُّ العَارِ أَن لَا يَكونَ لَنَا إِلَّا بشيرٌ وَاحِد... يجب علينا أن نَسْتَعِدَّ، وأَن نَكُونَ رِجَالًا يَتَشَرَّفُون بِحَمْلِ لَقَبِ الرُّجُولة الكَامِلَة...» اهـ [«البصائر»، العدد (٢٠٤)، (ص١)].





بَادِيسِيَّات (٠٢)

«مَا حَيِيَ خَلَفٌ إِلَّا بِحَيَاةِ سَلَف، ومَا حَيَاةُ السَّلَف إِلَّا بِحَيَاةِ تَارِيخِهِم ودَوَام ذِكْرِهِم» [«الشِّهاب»، (١٠/ ١٦)].

«إِنَّ الأُمَّةَ الَّتِي صَبَغَهَا الإِسْلَام، وهُوَ صِبْغَةُ اللهِ، وأَنْجَبَتْهَا العَرَبُ، وهِيَ أُمَّةُ التَّارِيخ، وأَنْبَتَتْهَا الجزائر، وهِيَ العَاتِيَة على الرُّومَان والفَانْدَال – لَا تَسْتَطِيعُ ولَن تَسْتَطِيعَ أَن تَمْسَخَهَا الأَيَّام، ونَوَائِب الأَيَّام» [«الشِّهَاب» (١٠/ ١٦٢)].

«لِلجَهْلِ – بِحَمْدِ اللهِ – دَوَاؤُهُ الشَّافِي؛ وَهُوَ التَّعلِيم، ولِلغَفْلَةِ عِلَاجُهَا النَّافِع؛ وهُوَ التَّذْكِير» [آثار ابن باديس (٤/ ٦٦)].

«إِنَّمَا تُقَاسُ دَرجةُ الأُمَم بِمَا تُنتِجُهُ مِن الرِّجال، وإِنَّمَا تَكُونُ مُنتِجَةً لِلرِّجَالِ يَومَ تَصِيرُ تَعرِفُ أَقدَارَ العَامِلِينَ مِن أَبنَائِهَا» [«الشِّهاب»، (٨/ ٤٧٠)].

«مَا دَلَّ على المَرْءِ مِثْلُ لِسَانِهِ، ولَا صَوَّرَهُ مِثْلُ قَلَمِهِ، وصَدَقَ اللهُ العَظِيم: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ۝٢٩ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾» [«الشِّهاب»، (١٠/ ٦٠٤)].

«مَنْ شَذَّ عَن أُمَّتِهِ شَذَّ فِي النَّارِ، وَأَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ... وَمِنَ العَارِ» [الشِّهاب، (١٠/ ٣٧٤)].

«إِنَّنِي أُوصِيكُم ونَفْسِي فِي هذا المَقَام بِأَن يَكُونَ فِي حَقِّكُمْ شَاغِلٌ لَكُم عَن بَاطِلِ المُبْطِلِين، فإِذَا قَامَ حَقُّكُم واسْتَوَى قَضَيتُم عَلَى المُبْطِلِين وبَاطِلِهِم» [الشِّهاب، (٩/ ٤٣٣)].

«الحَمْدُ للهِ الَّذِي فَضَّلَنَا بِالعَقْل، وكَمَّلَنَا بِالعِلْم، وَجَمَّلَنَا بِالفَضِيلَة، وَأَسْعَدَنَا بِالهِدَايَة والتَّوفِيق» [آثار ابن باديس (٤/ ٢٠٢)].

«إِنَّ الخِلَاف كُلَّهُ شَرٌّ، وشَرُّهُ ما كَانَ فِي الدِّين» [آثار ابن باديس (٦/ ٦٨)].

«فَالمُسلِمُ لَا يُنْسِيهِ أَلَمٌ يُصِيبُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا بَقِيَ عَلَيهِ مِن الوَاجِبَاتِ لِدِينِهِ» [آثار ابن باديس (٣/ ٢٧)].

«العِلمُ ثَمَرَةُ النَّظَرِ الصَّحِيح وَالفَهْم الثَّاقِب وَدَوَام التَّحْصِيل» [آثار ابن باديس (٣/ ٣٣)].

«إِنَّ الجَاهِلَ بِالشَّيءِ جَاهِلٌ بِهِ، ولَوْ كَانَ مِن أَعلَمِ النَّاسِ بِغَيرِه، وما عِلمُهُ بما عَلِمَ بِرَافِعٍ جَهلَهُ فِيمَا جَهِل» [آثار ابن باديس (٥/ ٨٦)].

❖ أَدَبُ الرَّسَائِل:

رسالةٌ مِن الشَّيخ البشير الإبراهيميِّ إلى الشَّيخ عبد القادر القاسميِّ:

«الأخ الأَديب سيدي عبد القادر بن سيدي محمَّد بن الخليفة محمَّد حفظه الله.

بعد السَّلام ورحمة الله. يَقْدَمُ عليكم حَامِلًا لهذه الورقة **الأَخ الأَبرُّ العَالِمِ الأَديب سيدي عمر برِّي**؛ أحد أفذاذ علماء المدينة المنوَّرة، وأبناء البيوتات الشَّهيرة بها، وَذَوِي الحَيْثِيَّات المُمتازة بها، وأصحاب المكانة العالية في الوظائف الدَّوليَّة، فيَقْدَمُ عليكم الأَدَبُ الشَّرقيُّ مُجسَّمًا في شخصٍ، والشِّعْرُ الرَّاقِي مُصَوَّرًا في هَيْكَلٍ إِنسانيٍّ، لَا بَل المُحَاضَرَة المُمْتِعَةُ مُكَوَّنَةً تكوينًا.

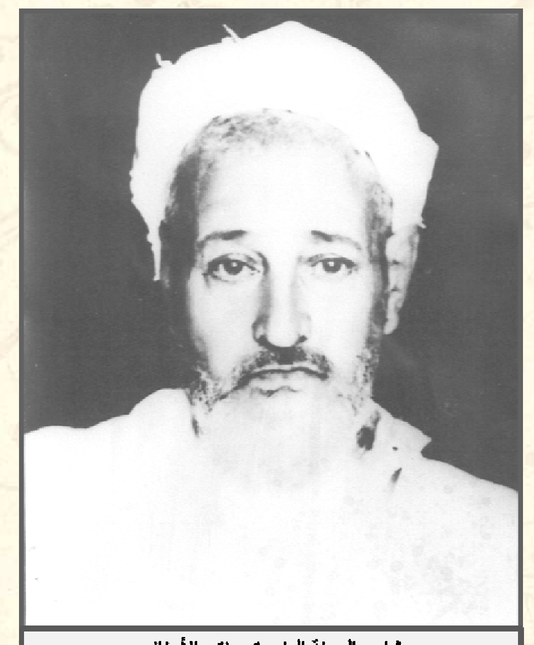
الرَّجل مِن خُلَّصِ أَحبابي، ومِمَّن كانت تَضُمُّني مَعَهُ المَجالسُ العِلميَّةُ بِالمدينة المنوَّرة سِنين، وقد جاءني للزِّيارة وتجديد العُهُود الَّتي تطَاوَلَت عليها الأَيَّام، ثُمَّ تَاقَت نَفسُهُ لِزيارة «الزَّاوِيَة القَاسِمِيَّة»؛ لِمَا يُؤثر عنها مِن حِفظِ رُسُوم العِلم والأَدَب والفضائل العربيَّة، فزَوَّدتُهُ بهذه الورقة إليكم، لِتَقِفُوا مَعَهُ، وتَتَمَلَّوا بِالاِجتماع بِهِ، وتُبَلِّغُوهُ مَا أَمَّلَ. ومِن حُسْنِ الصُّدْفَة أَن كانت زِيارتُهُ مُوَافِقَةً للميلاد النَّبويِّ الشَّريف – ولو صحِبَني التَّوفيق لَرَافَقتُهُ في هذه الزَّوْرَة، ثُمَّ أَنا على العهد الَّذي تعاهدناهُ في الجزائر إن شاء الله. بلِّغوا سَلَامِي إلى جميع مَن يَضُمُّهُ ناديكم، ودُمتُم لأَخيكم.

محمَّد البشير الإبراهيميّ

في ١٠ ربيع الأَوَّل ١٣٤٨».

* صُورَة الزَّاوية القَاسِمِيَّة:





شاعر المدينة المنورة ومفتي الأحناف
والمحدث بالمسجد النبوي الشريف
عُمَر بن إبْراهيم بن عَبْدالقَادر بن عُمَر البَرّي المدني
1309-1378هجرية

❋ سافر الأستاذ البشير الإبراهيمي إلى المشرق في سنة (١٣٧١هـ = ١٩٥٢م)، في مَهَامٍّ لِـ «جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريِّين» – الَّتي هُوَ رئيسُها –، وقد جالَ في تلك البلاد ومنها المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، وَفي المدينة المُنوَّرة تَجدَّدَ لهُ اللِّقاء بأصدقائه القُدَامَى ورِفاقِهِ في رحاب المسجد النَّبوِيِّ، يقولُ مُرافقُ الأستاذ الرَّئيس: الشَّيخ محمَّد المنصوري الغَسِيريّ في مقالاته المُعَنوَنة بِـ: «عُدتُ مِن الشَّرق: في المدينة المنوَّرة»، الجزء (١٨)، [«البصائر»، العدد (٢٧٣)، ٢٦ رمضان ١٣٧٣هـ، ٢٨ ماي ١٩٥٤م، (ص٦)]: «... وفي المدينة اجتمعنا بكثيرٍ مِن أخيارها العلماء أمثال الشُّيوخ: **عُمَر بَرِّي**... » إلخ.



صُورةٌ مِن النُّسخة الأَصليَّة للرِّسالة بِخطِّ الشَّيخ البشير الإبراهيمي:

الأخ الأديب سيدي عبد القادر بن سيدي محمد بن [illegible] محمد [illegible]

بعد السلام ورحمة الله. يقدم عليكم مع [illegible] الشيخ الأستاذ الأكبر العلامة الأديب سيدي عمر بري أحد أعيان علماء المدينة المنورة وأبناء البيوتات الشهيرة بها وذوي [illegible] الممتازة بها [illegible] العالية في الوظائف الدولية. فيقدم عليكم الأدب الشرقي مجسدا في شخص والشعر [illegible] مصورا في هيكل إنساني لابن [illegible] المتمتع ملونة تلوينا.

الرجل من خلص أحبابي وممن كانت تطمئن بهم المجالس العلمية بالمدينة المنورة سنين وقد جاءني للزيارة وتجديد العهود التي تطاولت عليها الأيام ثم تاقت نفسه لزيارة الزاوية القاسمية لما بلغه عنها من حفظ رسوم العلم والأدب والفضائل الدينية حتى ترى [illegible] العلم لتنعموا معه وتتملوا بالاجتماع به وتبلغوه مرامه. ومن حسن الصدف أن كانت زيارته موافقة للمولد النبوي الشريف. ولعل [illegible] التشريف [illegible] في هذه الزاوية. ثم أنا على العهد الذي تعاهدنا عليه في الجزائر إن شاء الله. بلغوا سلامي إلى جميع من يخصكم [illegible]

[illegible] لأخيكم

محمد البشير الإبراهيمي

١٠ ربيع الأول ١٣٤٩

❖ سِيَرٌ وتَرَاجِم:

البشير الإبراهيمي وَصداقَاتٌ قديمةٌ

(٠١):

الشَّيخ عُمَر بَرِّي المَدَنِي:

هُوَ أبو حفص عمر بن إبراهيم بَرِّي المَدني الحَنفيّ، يَنتسبُ إلى آل البرِّي الهاشميِّين، مِن أولادِ محمَّد بن الحَنفيَّة بن سيِّدنا عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه. استوطنَ جدُّهم الشَّيخ عبد البَرِّ البَرِّي المالكيِّ المدينةَ سنة ٦٧٢هـ، مُهاجِرًا إليها مِن تُونُس. قال عنهُ المترجَم: «جَدُّنَا عبد البَرّ المرابطيّ القَيرَوانيّ، المُنتَسِب إلى محمَّد بن الحَنَفيَّة»[١].

وأُسرة البَرِّي أُسرةٌ عريقةٌ في العِلم والأَدب والخَطابَة؛ فما مِنهم إلاَّ خطيب أو إمامٌ أو مُدرِّس أو مُفتٍ أو قاضٍ، وما منهم إلاَّ شاعرٌ أو أَديب. أَمَّا مترجَمُنا فهُو عمر بن الشَّيخ إبراهيم بن الشَّيخ عبد القادر بن الشَّيخ عمر[٢] - مُفتي المدينة المنوَّرة - بن الشَّيخ إبراهيم - نائب القاضي بالمدينة المنوَّرة - بن محمَّد البرِّي المَدَنيِّ الحَنفيِّ... إلخ شجرة النَّسَب. انظرها في مُقدِّمة تحقيق ديوانِ المترجَم.

تمذهبَ بعضُ أجدادهِ بالمذهب الحنفيِّ، فصارُوا مِن بعدِهِ حَنفيِّين[٣].

مَوْلِدُهُ:

ولد عُمر بَرِّي سنة ١٣٠٩هـ. ووالدته هي السَّيِّدة عائشة بنت الشَّيخ إبراهيم الأسكوبي الشَّاعر، توفِّيت سنة ١٣٦٩هـ،

١- طَيْبَة وذِكرَيات الأَحِبَّة (١/ ٧٢).

٢- تُوُفِّي سنة (١٣٠٢هـ)، لهُ: رسالة الأفراح والبشائر، لِطالِبِ العلم والمجاهد والحَاجِّ والزَّائِر: قَرَّظَهَا شِعْرًا تلميذُهُ: الشَّيخ محمَّد بن الخليفة التُّونسيُّ المَدَنيُّ (ت ١٣١٨هـ) [إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس (٤/ ٣١٩- ٣٢٠)]. تقع في نحو ست ورقات، تحتفظ جامعة بِرِنْسْتُونْ بنسخة منها، تحت رمز حفظ [٢٦٥٧]، كتبت سنة ١٣٠٠هـ، ولعلَّها تكون نُسخة المؤلِّف، افتتحها بقولِهِ: الحمدُ لله الَّذي أَسكننا دارَ الهِجرة... إلخ. وانظر: أعلام من أرض النُّبُوَّة (ص٣٩٣-٣٩٤).

٣- انظر مقدِّمة تحقيق الدِّيوان (ص٩).

وليس لها ولا لوالده من الأولاد غيره[٤].

وَكانَ شاهِدًا على ثلاثة عهودٍ تعاقبَت على حُكم الحجاز: آخِر العهد العثماني [الأَتراك] إلى سنة ١٣٣٤هـ، ثُمَّ العهد الهاشميّ إلى سنة ١٣٤٤هـ، ثُمَّ العهد السُّعودِيّ.

مِن شُيُوخِهِ:

- الحافظ المقرئ الشَّيخ إبراهيم طرودي: قال المترجَم: «**شيخِي في القرآن الكريم**»[٥].

- والده الشَّيخ إبراهيم برِّي (ت ١٣٥٤هـ)[٦]؛ قال المترجَم: «**في الفقه والأصول والحديث والتفسير والفرائض والحساب**»[٧].

- جَدُّهُ لأَبِيه الشَّيخ عبد القادر برِّي (ت ١٣٣٧هـ)[٨].

- جدُّهُ لأُمِّهِ، الشَّيخ إبراهيم الأسكوبيّ (ت ١٣٣٢هـ)؛ وهُو أيضًا شيخٌ لوالدِهِ[٩]، قال المترجَم: «**في الحديث والنَّحو والأدب والفقه**»[١٠].

وقد وجدتُ الشَّيخ البشير الإبراهيميَّ الجزائريَّ – زميلهُ في الدِّراسة (١٩١١-١٩١٧) – يَذكُرُ تَتلمُذَهُ عليهِ، قال: «**وأَخذتُ أَيَّامَ مُجَاوَرَتِي بالمدينة عِلْمَ التَّفسِير عن الشَّيخ الجليل إبراهيم الأسكوبي، وكان مِمَّن يُشَارُ إليهم في هذا العِلم، مع تَوَرُّعٍ وتَصَاوُنٍ هُوَ فِيهِما نَسِيجُ وَحدِهِ**»[١١].

٤- طَيْبَة وذِكرَيات الأَحِبَّة (١/ ٧٢).

٥- إجازة الشَّيخ عمر البَرِّي للشَّيخ سليمان الصنيع المكِّي. انظر: الثمر اليَنيع في إجازات الصَّنيع (ص١٨٣).

٦- انظر ترجمته في: أعلامٌ مِن أَرض النُّبوَّة (ص٣٩٥-٣٩٦).

٧- إجازة الشَّيخ عمر البَرِّي للشَّيخ سليمان الصنيع المكِّي. انظر: الثمر اليَنيع في إجازات الصَّنيع (ص١٨٣).

٨- طَيْبَة وذِكرَيات الأَحِبَّة (١/ ٧٢)، وَأَعلامٌ مِن أَرض النُّبُوَّة (ص٣٩٤).

٩- طَيْبَة وذِكرَيات الأَحِبَّة (١/ ٧٢).

١٠- إجازة الشَّيخ عمر البَرِّي للشَّيخ سليمان الصنيع المكِّي. انظر: الثمر اليَنيع في إجازات الصَّنيع (ص١٨٣).

١١- آثار الإمام محمَّد البشير الإبراهيمي (٥/

- الشَّيخ حمدان الونيسيّ القسنطينيّ الجزائريّ[١٢]، قال المترجَم: «في شيءٍ من النَّحو، وجانبٍ مِن الحديث «الجامع الصغير»»[١٣].

- الشَّيخ محمَّد العمري البسكريّ الجزائريّ (ت ١٣٥١هـ)[١٤].

- الشَّيخ عبد الجليل برادة[١٥].

- الشَّيخ الطَّيِّب التُّنْبُكْتِي الأَنْصَارِي (ت ١٣٦٣هـ): قال دفتردار: «كان أستاذه بعدَ أبيهِ؛ درس عليه النحو الأدب والحديث»[١٦]. قال المترجَم: «**وهو شيخي في العلوم العربيَّة؛ نحوًا وصرفًا ولغةً وبلاغةً وأدبًا، وشيئًا مِن المنطق، وكثيرًا من الحديث، والتفسير تمامًا**»[١٧].

ولَهُ فِيهِ قصائد يَمدحُهُ بِها، منها قصيدة في سنة ١٣٤١هـ[١٨].

- ولهُ شيوخٌ في الإجازة والرِّواية[١٩].

الإبعاد مِن المدينة ثُمَّ العودة إليها:

أُعلِنَت الثَّورة العربيَّة في شعبان عام ١٣٣٤هـ، يَتزعَّمُها الشَّريف حُسين الَّذي كان واليًا على الحجاز للعثمانيِّين. فَطلَبَ فخري باشا - حاكم المدينة التُّركيّ - مِن أَهلِها مُغادرَتَها، فارتحلت أسرة البَرِّي؛ الشَّيخ عبد القادر البَرِّي، وأولاده وأحفاده، وفيهم **عمر البَرِّي** [المترجَم]، ارتحلوا مِن المدينة إلى

٢٧٦).

١٢- طَيْبَة وذِكرَيات الأَحِبَّة (١/ ٧٤)، وَأَعلامٌ مِن أَرض النُّبُوَّة (ص٣٩٨).

١٣- إجازة الشَّيخ عمر البَرِّي للشَّيخ سليمان الصنيع المكِّي. انظر: الثمر الينيع في إجازات الصَّنيع (ص١٨٣).

١٤- طَيْبَة وذِكرَيات الأَحِبَّة (١/ ٧٢)، وَأَعلامٌ مِن أَرض النُّبُوَّة (ص٣٩٨).

١٥- أعلامٌ مِن أَرض النُّبُوَّة (ص٣٩٧).

١٦- طَيْبَة وذِكرَيات الأَحِبَّة (١/ ٧٤)، وأَعلامٌ مِن أَرض النُّبُوَّة (ص٣٩٨).

١٧- إجازة الشَّيخ عمر البَرِّي للشَّيخ سليمان الصنيع المكِّي. انظر: الثمر الينيع في إجازات الصَّنيع (ص١٨٣).

١٨- انظر الدِّيوان (ص٧١-٧٥).

١٩- انظر: إجازة الشَّيخ عمر البَرِّي للشَّيخ سليمان الصنيع المكِّي. انظر: الثمر الينيع في إجازات الصَّنيع (ص١٨٣-١٨٥).

الشَّام ثُمَّ إلى الأناضول، واستقرُّوا بِبلدة اسمها «الوشاق» تابعة لِـ«أَزْمِيرْ»، ومكثوا هناك قرابة عامين، وبعد أَن وضعت الحرب العامَّة أوزارها، عَادُوا إلى دمشق، فأقاموا بها زمنًا، عام ١٣٣٧هـ.

وفي مقامهم بدمشق تُوُفِّي في أسبوعٍ واحدٍ الشَّيخ عبد القادر البَرِّي وزوجةُ المترجَم الشَّيخ عمر بن إبراهيم البَرِّي - وهي بنت الشَّيخ صالح فضائلي - وابنهما الصغير عبد القادر[٢٠].

وَفي هذا التاريخ - ١٣٣٧هـ - أنشأَ عمر بَرِّي - المترجَم - قصيدةً يَمدح بها الشَّريف حسين زعيم الثَّورة العربيَّة - الَّتي انتهت بجلاء الأتراك مِن أرض المدينة في التاريخ المذكور[٢١].

انجلَتِ المِحنَةُ، وَعادت أُسرَةُ البَرِّي إلى المدينة فِيمَن عادَ إليها آخر عام ١٣٣٧هـ.

الشَّيخ إبراهيم البَرِّي:

كان أبوه الشَّيخ إبراهيم بَرِّي مُدرِّسًا في المسجد النَّبويِّ، وقاضيًا ومُفتِيًا بالمدينة، إلى أن جاء العهد السُّعوديُّ عام ١٣٤٤هـ، فثُبِّتَ في منصبِهِ قاضيًا، إلى أن استعفى منه عام ١٣٤٦هـ.

عندما وَجَّهَ قاضي المدينة الشَّيخ عبد الله بن بليهد إلى المُدَرِّسين والمُفتين بِالمدينة نصَّ استفتاء عن بدعٍ تَتعلَّق بالقبور وغيرها - جاءت الفتوى بإمضاءِ أَعيانهم بتاريخ ٢٥ رمضان ١٣٤٤هـ، وفيهم: الشَّيخ إبراهيم بَرِّي.

ولد الشَّيخ إبراهيم بَرِّي سنة ١٢٨١هـ، ودرسَ على أبرز شيوخ ذلك العهد مِن المدَنيِّين، ومنهم والدهُ: الشَّيخ عبد القادر البَرِّي، والشَّيخ إبراهيم الأسكوبي، الَّذي زوَّجَهُ ابنتَهُ، فالأسكوبي هُو جدُّ المترجَم [عمر البَرِّي] لأُمِّهِ.

ومِن تلاميذه الكثيرين: الشَّيخ القاضي عبد القادر بن أحمد بن أحمد الجزائري (الجزائرلي)، وابنُهُ الشَّيخ عمر بَرِّي [المترجَم].

لَهُ ديوان شِعر، وتعليقاتٌ على كنز الدقائق مِن متون الفقه الحنفي، وتعليقاتٌ على المواقف للإيجِي، وكانت ترد إليه

٢٠- أعلامٌ مِن أَرض النُّبوَّة (ص٤٠٦).

٢١- انظر الدِّيوان (ص١٠٥-١٠٧).

معضلات النوازل ومشكلات الفتوَى.

توفي سنة ١٣٥٤هـ بالمدينة ودفن في البقيع[٢٢].

في العهد السُّعوديّ [١٣٤٤هـ]:

آلَت أرض الحجاز إلى حُكم ابن السُّعُود؛ سُلطان نَجْدٍ، فهلَّلَ المترجَم لهذا المليك السَّلَفِيِّ العَادِل، وكانت لهُ فيه قصائد مديح، كتبَ بعضها في سنة ١٣٤٤هـ[٢٣]، وَيقول إحداها:

مَلِكٌ لَهُ التَّوحِيدُ خُلْقٌ رَاسِخٌ
مُـتَـمَـكِّـنٌ مِـن نَـفْسِـهِ مَـنْـظُورُ
مَـلِكٌ أَقَـامَ شَعَائِرَ السُّنَنِ الَّتِي
درست، وهَا هُوَ شَخْصُهَا مَنْشُورُ
مَـلِكٌ أَبَـادَ مَـعَالِمَ البِـدَعِ الَّتي
ظَـلَّـتْ كَـدِيـنٍ فِي الطَّـغَـامِ يَـثُورُ

...إلخ[٢٤]

ولهُ في مَدح الشَّيخ عبد الله بن حسَن آل الشَّيخ رئيس القضاة، قصيدةٌ، أُثبتُ بعضًا مِن أبياتِها، فهِيَ تُبينُ عن عقيدةِ ومذهب الشَّيخ عمر البَرِّي، وأَنَّ ثناءَهُ على الرَّجل كانَ لأَجلِ عقيدتِهِ التَّوحيديَّة وطريقتِهِ السَّلفيَّة، قال:

بِالدِّينِ أَنْتَ وَبِالتَّوْحِيدِ مَعْرُوفٌ
وَبِالْهُدَى وَالعُلَى فِي النَّاسِ مَوْصُوفُ

...

حَصَرْتَ هَمَّكَ فِي التَّوْحِيدِ تَنْشُرُهُ
فَأَبْشِـرْ فَإِنَّـكَ بِـالتَّـوْفِيـقِ مَحْفُـوفُ

...

مَا خُضْتَ فِي شُبَهِ التَّشْبِيهِ فِي جَدَلٍ
وَلَمْ يُسَـاوِرْكَ تَـعْـطِـيـلٌ وَتَكْـيِيـفُ
وَلَسْتَ أَنْتَ عَلَى التَّأْوِيلِ مُـرْتَكِزًا
مِثْلَ المُشَـكِّكِ، بِالأَوْهَامِ مَحْرُوفُ[٢٥]

وقالَ فيهِ في قصيدةٍ أخرى:

دَعَوْتَنَا لِصَلَاحِ القَـلْبِ مِنْ شُبَـهٍ
مُضِـلَّةٍ، وَالهُـدَى لِلْقَـلْبِ إِكْسِيرُ[٢٦]

رِحْلَاتُهُ:

كانت للمترجَم أَسفارٌ كثيرةٌ إلى مختلف الأقطار العربية والإسلاميَّة، سافر إلى

٢٢- انظر: الأعلام للزِّركليّ (١/ ٤٨).

٢٣- انظر الدِّيوان (ص١٣٧-١٤٣).

٢٤- انظر الدِّيوان (ص١٤١).

٢٥- انظر الدِّيوان (ص٢٠٤).

٢٦- انظر الدِّيوان (ص٢٠٥).

مصر، ثُمَّ إلى يوغسلافيا[٢٧] وَألبانيا سنة ١٣٤٥هـ، وَسافر إلى تونس سنة ١٣٤٦هـ، ومكثَ فيها تسع سنواتٍ[٢٨]، وقد عيَّنه شيخ الإسلام الحنفي «أحمد بيرم» سكرتيرًا بجامع الزَّيتونة، وكان في الإجازات الصيفيَّة يقوم بِرحلات إلى ولايات تونس والجزائر والمغرب[٢٩]. عاد إلى المدينة سنة ١٣٥٥هـ إثر وفاة والده، وفي سنة ١٣٥٦هـ سافر إلى الهند[٣٠].

إِبْدَاعُهُ الأَدَبِيُّ وَمَوَاهِبُهُ الشِّعْرِيَّة:

- يَذكرُ ابنُ خالةِ المترجَم الأديب الشَّاعر «محمَّد سعيد دفتردار»؛ أَنَّ الناحية الأدبيَّة قد ظهرت عندَ المترجَم مبكِّرةً في سِنِّ الخامسة عشرة مِن عمره[٣١]، ويقول: «والشَّيخ عمر لا يُجارَى في الرِّوَايَةِ لِكثرةِ محفوظاته واستيعابه، ولِقُوَّةِ حافظته وحضور بَدِيهته، ومَعرفَتِهِ لِلجَيِّد الَّذي يَنتقيه مِن دواوين الشعراء، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ مُلِمًّا باللُّغة الفارسيَّة ويُحسن اللغة التركيَّة» اهـ[٣٢].

أَمَّا عن أحاديثِهِ ومجالسِهِ فيقولُ عنهُ: «والشَّيخ عمر لا تَمَلُّ حديثَهُ؛ لأَنَّهُ يَنتقِلُ بِكَ في حديثه بين رواية الشِّعر، وسَرْدِ التَّاريخ، وعَرض مسائل العلوم، ويَنتقِلُ بِكَ عبر عصور التاريخ، ووقائع الملوُك، ومصارع الرِّجال، ويُعِينُهُ على ما يَروي ذاكرتُهُ الجَيِّدة القويَّة، فهُو لا يَنْسَى ما قَرَأَ» اهـ[٣٣].

انتصابُهُ للتَّدريس:

صارت للشَّيخ عمر بَرِّي حلقةُ درسٍ في خِلَالِ العهد السُّعُوديِّ، في حياةِ والدِهِ الشَّيخ إبراهيم بَرِّي.

مِن مَناصبه الوظيفيَّة:

- كَاتِب عَدْلٍ في المحكمة الشرعيَّة مِن سنة ١٣٣٧هـ إلى سنة ١٣٤٥هـ.

٢٧- أَعلامٌ مِن أرض النُّبوَّة (ص٤٠٧).

٢٨- طَيْبَة وذِكرَيات الأَحِبَّة (١/ ٧٣).

٢٩- أَعلامٌ مِن أَرض النُّبوَّة (ص٤٠٨).

٣٠- مُقدِّمة تحقيق «تسهيل الحفظ والوصول» (ص٤٦-٤٧).

٣١- طَيْبَة وذِكرَيات الأَحِبَّة (١/ ٧٤).

٣٢- طَيْبَة وذِكْرَيات الأَحِبَّة (١/ ٧٦).

٣٣- انظر: محمَّد سعيد دفتردار مُؤَرِّخًا وأديبًا، للدكتور محمَّد العيد الخطراوي.

- التَّدريس في مدرسة العلوم الشرعيَّة الَّتي تأسَّست بالمدينة سنة ١٣٤١ هـ، يُلقي دروسًا على طُلَّاب القسم العالي[٣٤]، في الفقه والتَّوحيد والأَدب[٣٥].

- الإِمَامة والخَطَابَة في المسجد النَّبويِّ. وأَدرَكَهُ الأُستاذ زكريا بيلا يُدرِّسُ في المسجد النَّبويِّ في رمضان - كتاب الأَذكار النَّوويَّة[٣٦].

مِن تلاميذه الكثيرين:

- الشَّيخ عمر بن محمَّد فلاتة، المدرِّس بالمسجد النَّبويِّ.

- الشَّيخ أبو بكر جابر اللِّيوي البسكريّ الجزائريّ، المدرِّس بالمسجد النَّبويِّ.

وفاتُه:

- توفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ في ١٠ شوَّال سنة ١٣٧٨ هـ بالمدينة المنوَّرة.

مِن تآليفه:

- **تسهيل الحفظ والوصول نظم الثلاثة الأصول**[٣٧].

- **سيف الحَقّ على مَن لَا يَرَى الحَقّ؛** في الرَّدِّ على طاهر الحَدَّاد التُّونسيِّ في كتابه: «امرأتنا في الشَّريعة والمجتمع»!

- قصيدةٌ ذَيَّلَ بها كتابه «سيف الحَقّ»؛ يَصِفُ فيها حالة الشَّباب، وغُربةَ الدِّين بينهم[٣٨].

- ديوان شِعر[٣٩].

- مقالات نشرها في جرائد تونس أيَّام إقامته بها؛ في «النَّدِيم» و«الوزير»

٣٤- أعلامٌ مِن أَرض النُّبوَّة (ص٤٠٤).

٣٥- الجواهر الحسان في تراجم الفضلاء والأعيان من أساتذة وخلَّان لزكريا بيلا (٢/ ٦٩٨).

٣٦- الجواهر الحسان في تراجم الفضلاء والأعيان من أساتذة وخلَّان لزكريا بيلا (٢/ ٦٩٨).

٣٧- نشرها الأستاذ مجد بن أحمد مكي مع «تسهيل الوصول إلى الثلاثة الأصول» للشَّيخ محمَّد الطَّيِّب الأنصاري، عن دار البشائر الإسلامية - بيروت، وَدار نور المكتبات - جدة، ط١/ ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٣٨- الجواهر الحسان في تراجم الفضلاء والأعيان من أساتذة وخلَّان لزكريا بيلا (٢/ ٦٩٨).

٣٩- طُبع بتحقيق وتقديم: د. محمَّد العيد الخطراوي، ط١/ ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م.

وغيرهما[٤٠].

– وجدتُ له قصيدةً نشرتها جريدة «النُّور» للحاج أبي اليقظان المِيزَابِي، في عدد (٢٢)، بتاريخ ١٦ شوال ١٣٥٠هـ، ٢٣ فيفري ١٩٣٢م، (ص٣)، وهِيَ تقريظٌ لِدِيوان أبي اليقظان.

قال صاحبُ «النُّور» تحت عنوان: «**عجلةُ إعجاب**»: «كُلُّ مَن له اطِّلاعٌ على مجرى الحركة العلميَّة والأدبيَّة بِتونس الشَّقيقة يَعلَمُ مَن هُو الأستاذ الشَّيخ عمر بَرِّي المَدَني وما هِيَ مكانتُهُ في العلمِ والأدَب والتَّحرير. ولقد أتحفنَا ـ رعاهُ الله ـ بِخريدةٍ عصماء مِن نظمِهِ البديع تحتَ العنوان أعلاهُ في شأن الدِّيوان. ونحنُ نقدِّمها هُنا ل الكرام قُرَّائنا عُشَّاق الخرائد الغَوَانِي مِن أَبْكَار الأفكار، شَاكِرين فضلَ صديقِنا الأستاذ الجليل. قال أيَّدَ اللهُ العلمَ والأدَب بأمثالِهِ:... » إلخ قَولِه:

وَخُذْ ثَنَاءَ كَلِيلِ الفِكْرِ مُنْغَمِسٍ
فِي أَبْحُرِ الهَمِّ مَنْهُوكِ القِوَى سَقَمَا
غَرِيبِ دَارٍ شَتِيتِ الشَّمْلِ مُضْطَرِبٍ
فِي أَمْرِهِ لَيْسَ يَرْضَى بِالَّذِي نَظَمَا
وَاعْذُرْ أَخَاكَ فَإِنَّ العُذْرَ شِيمَةُ مَنْ
أَمْسَى وَأَصْبَحَ فِي أَقْرَانِهِ عَلَمَا
عُجَالَةٌ أَعْجَلَتْهَا مِنْكَ رَائِحَةٌ
مِنَ البَيَانِ فَمَدَّتْ لِلسَّلَامِ فَمَا
عمر البَرِّي المدَني» اهـ.

– لَهُ قصيدةٌ في رِثاء شيخ الإسلام الحنفي «أحمد بيرم»[٤١]، فقد جاءَ في مكاتبةٍ مِن تُونُس ـ في آخر سنة ١٣٥٣ هـ ـ «... **هذا وقد أنشَدَ الأديبُ السَّيِّد محمود بُورقِيبَة قصيدةً في رِثاء الفقيد قبلَ لَحْدِهِ مِن نَظمِ الشَّيخ عمر بَرِّي المَدَني المُستَخدَم بإدارة مَشيخة الجامع نِيابةً عَنهُ**» اهـ[٤٢].

– ولـهُ مكاتبـةٌ إلى شـيخ زاويـة الهامـل بـالجزائر: الشَّـيخ مصـطفى بـن محمَّـد القاسـميّ، محفوظـة بِالمكتبـة القاسـميَّة،

٤٠- مُقدِّمة تحقيق «تسهيل الحفظ والوصول» (ص٤٥-٤٦).

٤١- توفِّي يوم الأحد ٢٠ ذي القعدة ١٣٥٣هـ، ٢٤ فيفري ١٩٣٥م بتونس، وَحَضَرَ دفنه شيوخ الجامع الأعظم والتَّلامذة الزَّيتُونيُّون...إلخ ما جاء في جريدة «الزُّهرة» التُّونسيَّة ونقلتهُ عنها جريدة «النَّجاح» القسنطينيَّة.

٤٢- «النَّجاح»، عدد ١٦٧٧، (ص٢).

تاريخها: ١٢ ذو القعدة ١٣٤٨ هـ، أرسلها مِن قَفْصَة، مِن القُطر التُّونسيِّ، أوَّلها: **الحمد لله تعالى... إنَّ أحسنَ ما يُهدَى إلى مَالِكِ أَزِمَّة الشَّرف والصَّلاح، وقُطب رَحَى المَجْد والسَّماح، تاج سُلالة آل بيت النُّبوَّة والرِّسالة... إلخ**[٤٣].

كتبَ هذه الرِّسالة بعدَ تَوَثُّق العُرَى بينَهُ وبينَ أَهلِ الزَّاوية القاسميَّة، وبعدَ زيارتِهِ لها في ربيع الأَوَّل ١٣٤٨هـ، كما أشار إلى ذلك صَدِيقُهُ الشَّيخ البشير الإبراهيمي في الرِّسالة المنشورة في هذا العدد.







٤٣- «فهرسة مخطوطات المكتبة القاسمية- الجزائر» (ص٤٦٥).

❖ قَصَائِدُ وَأَشْعَارٌ:

«السَّعَادَةُ الأَبَدِيَّة»

قصيدةٌ في الرَّدِّ على الشيخ الطاهر بن العبيدي[٤٤]

للشَّيخ عبد المجيد حَبَّة العُقْبِي:

* تَرجمةُ النَّاظِمِ بِاختِصارٍ[٤٥]:

هُوَ الشَّيخ عبد المجيد بن محمَّد بن علي، المُلَقَّب حَبَّة، السُّلَميّ؛ نِسبةً إلى قبيلَة «سُلَيم» العربيَّة، ولد في سنة ١٣٢٩هـ= ١٩١١م، ببلدة «سِيدِي عُقْبَة»؛ الَّتي انتقل إليها أهلُهُ مِن «المْغَيَّر» – وطنهم الأصلي –، نشأَ بها وبدأَ يحفظ القرآن صغيرًا في زاوية الفاتِح – عقبة بن نافِع – إلى أن أتمَّ حفظه في سِنِّ الخامسة عشر، ثمَّ زاول دراستَه العلميَّة بجامع الفاتِح، ابتداءً مِن سنة ١٩٢٦م، ومِن مشايخه هناك: الشَّيخ البشير بن الصَّادق العبد الرَّحمانيّ، والشَّيخ الصادق بن محمَّد الهادي بلهادي، والشَّيخ محمد بن منصور العُقبيُّ المُلقَّب: ابن دايْخة، والشَّيخ الهاشمي ابن مبارك الشريف العُقبيُّ، ثُمَّ تتلمذ في بلدة «بِسِكْرة» على الشَّيخ الطَّيِّب بن الحاج صالح، الشَّهير بِالعُقبيِّ. اعتمَدَ على المُطالعة أكثر مِن الدِّرَاسَة، وَتأَهَّل للتَّدريس فكانت له حلقةٌ بجامِع الفاتِح ولم يتجاوز سنُّهُ خمسًا وعشرين سنةً، درَّسَ الطلبَة، ودرَّسَ العامَّة، فسَّرَ القرآنَ، شَرَحَ الموطَّأَ، وسُبُل السَّلام للصَّنعانيّ، ورياض الصَّالحين للنَّوويِّ، وَالرَّوضة النَّديَّة لصدِّيق حَسَن خان، وموعظة المؤمنين للقاسمي، إلى غاية سنة ١٩٥٢م. انتقل إلى بلدة «المْغيَّر»، واشتغل هناكَ إمامًا خطيبًا بالمسجد العَتِيق، فدَرَّسَ وأفتى، إلى اندلاع ثورة التَّحرير، فالتحقَ بالثَّورة، وبعد استقلال الجزائر عُيِّن إمامًا وخطيبًا بـ«سِيدي عُقْبَة»، تُوفِّي رَحِمَهُ اللهُ سنة ١٩٩٢م. مِن تآليفه الكثيرة: قَيْدُ الأَوابِد مِن حياةِ خَالِد – بن سِنَان العَبْسِيِّ –، وَتذكرة أولي الألباب بِمُلَخَّص تاريخ بِسِكْرَة والزَّاب، وأُرجوزة تحصيل الرَّغبة في رَفْع النِّسبة، وتعليقٌ عليها، وَمقطوعات شعريَّة كثيرة في شَتَّى المُناسَبات اهـ.

* قال الشَّيخ عبد المجيد حَبَّة العُقْبِي (ت ١٩٩٢م) رَحِمَهُ اللهُ:

«إِنْ أَرَدْتَ الحَيَاةَ فِي رُفْهَنِيَّهْ[٤٦]
وَرَغِبْـتَ السَّعَـادَةَ الأَبَـدِيَّـهْ

٤٤- انظر في التَّعريفِ بِهِ العدد السَّابق – العدد (٠٥) – مِن هذه النَّشْرَة.

٤٥- انظر مُقدِّمة كتاب «آثار الشَّيخ عبد المجيد حبَّة... » للأستاذ التواتي ابن مبارك العُقبيِّ (ص١٣-١٥)، وَ«شخصيَّات نموذجيَّة» للأستاذ محمَّد لحسن زغيدي (ص٣٥-٦٨).

٤٦- الرُّفْهَنِيَّةُ: سَعَةُ العَيش.

فَاعْتَصِمْ بِالشَّرِيعَةِ الأَحْمَدِيَّهْ
فِيهَا يَبْلُغُ الفَتَى الأُمْنِيَّهْ
وَلْتُرَاعِ أُصُولَهَا المَرْعِيَّهْ
مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ نَبَوِيَّهْ
وَاتِّفَاقٍ مِنْ صَحْبِ خَيْرِ البَرِيَّهْ
أَوْ قِيَاسٍ عَلَى أُمُورٍ جَلِيَّهْ
كَذَبَ المُدَّعِي مِنَ الهَمَجِيَّهْ
غَيْرَ مَا مَرَّ حُجَّةً شَرْعِيَّهْ
كَطُقُوسِ الزَّعَانِفِ الطُّرُقِيَّهْ
فَاطَّرِحْهَا وَخَلِّ أَشْيَا فَرِيَّهْ
نَسَبُوهَا لِلدِّينِ وَهِيَ بَلِيَّهْ
أَلْبَسُوهَا زَخَارِفًا لَفْظِيَّهْ
اتَّخَذُوهَا أُحْبُولَةً لِلدَّنِيَّهْ
وَادَّعَوْا أَنَّهُمْ هُمُ الزُّهْدِيَّهْ
ثُمَّ قَالُوا بِأَنَّهُمْ صُوفِيَّهْ
لَبِسُوا خِرْقَةَ المَعَالِي السَّنِيَّهْ
لَيْسَ فِيهِمْ مَنْ لَمْ يُنَادِ إِلَيَّهْ
فَأَنَا القُطْبُ وَارِثُ الغَوْثِيَّهْ
أَنَا سِرُّ العَوَالِمِ الكَوْنِيَّهْ
صَاحِبُ الوَقْتِ هَيَّ لِي هَيَّ إِلَيَّهْ
وَبِنَا فَاسْتَغِثْ لِكُلِّ رَزِيَّهْ
تَلْقَنَا حَاضِرِينَ كُلَّ ثَنِيَّهْ
وَعَلَيْكَ الفُلُوسُ وَهَيَّ إِلَيَّهْ
وَإِلَيْكَ السُّلُوكُ وَهُوَ عَلَيَّهْ
فَأَنِلْنِي الفُلُوسَ مِلْءَ يَدَيَّهْ
بُكْرَةً تُمْسِ حَائِزَ القُطْبَانِيَّهْ
تِلْكَ أَقْوَالُهُمْ وَهْيَ بَذِيَّهْ
وَكَذَاكَ أَعْمَالُهُمْ فَدَنِيَّهْ
قُلْ لَهُمْ وَالَّذِي لَهُ الأَحَدِيَّهْ
مَا لَكُمْ فِي الهُدَى وَلَا أُوقِيَّهْ
مَنْ لَنَا كَالْفُضَيْلِ وَابْنِ عُلَيَّهْ
بَيْنَكُمْ فِي تُقًى أَوِ العَدَوِيَّهْ
قُلْ تَعَالَوْا لِلْحِلْيَةِ الأَصْبَهِيَّهْ[٤٧]
نَحْتَكِمْ لَا لِنُصْرَةٍ نَبَوِيَّهْ[٤٨]
فَبِتِلْكُمْ مِنَ الرِّجَالِ بَقِيَّهْ
بَانَ فَضْلُهُمْ كَشَمْسٍ نَقِيَّهْ
وَبِهَاذِي مِنَ الخُرَافَاتِ مِيَّهْ
بَلْ أُلُوفُ الْعَقَائِدِ القَرْمَطِيَّهْ
أَيْنَ شَرْحُ الْمَنْظُومَةِ التَّازِيَّهْ[٤٩]

٤٧- هو كتاب: «حِليَة الأولياء وطبقات الأصفياء» للحافظ أبي نعيم الأصبهاني ت ٤٣٠ هـ.

٤٨- يُشير إلى رِسَالَة: «النُّصرة النَّبَوِيَّة لأَهْلِ الطَّرِيقة الشَّاذِلِيَّة الدَّرْقَاوِيَّة المَدَنِيَّة الفَاسِيَّة»، لِمصطفى بن إسماعيل حبش المدني.

مِـنْ كِتَابِ النَّوَادِرِ التِّرْمِذِيَّهْ[٥٠]

أَيْـنَ أَشْيَـاخُكُمْ ذَوُو العَصَبِيَّهْ

مِنْ رِجَالِ الرِّسَالَةِ القُشَيْرِيَّهْ[٥١]

هَـؤُلَاءِ ذَوُو خِــلَالٍ عَـلِـيَّــهْ

وَلِأُولَـئِـكُمْ نُـفُـوسٌ رَدِيَّـــهْ

فَمَنْ مِنْكُمْ أَدْرَى بِأَهْلِ المَزِيَّهْ

وَشُـيُـوخُ الطَّـرِيقِ مِنْهَا عَرِيَّهْ

.................................»اهـ[٥٢]

٤٩- يُشير إلى منظومة الشَّيخ عبد الرحمن باش تارزي في مبادئ وقواعد الطَّريقة الرَّحمانيَّة، وقد شرحَها ولده الشَّيخ مصطفى باش تارزي، وسمَّى شرحَهُ: «المِنَح الرَّبَّانيَّة في بيان المنظومة الرَّحمانيَّة».

٥٠- هو كتاب: «نَوَادِر الأُصُول في أَحاديث الرَّسول» لأَبي عبد الله الحَكِيم التِّرمِذِيِّ، ت نحو ٣٢٠هـ.

٥١- هي: «الرِّسالة القُشَيْرِيَّة» لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيريِّ، ت ٤٦٥هـ.

٥٢- أَوْرَدَها الأستاذ التواتي بن المبارك في «آثار الشَّيخ عبد المجيد حبَّه العُقْبيِّ النَّثريَّة والشِّعْرِيَّة والمَسرحيَّة» (ص١٦٦-١٦٧)، لكن جاء فيها تَحريفٌ وتَصحيفٌ وسقطٌ!!! والحمدُ لله أَنَّهُ أثبتَ في آخرِ الكتاب صورةً للنُّسخة الأصليَّة للقصيدَة، فَرَجعتُ حينها للأَصل وأصلحتُ ما احتاجَ إلى



إصلاحٍ حسَبَ المَقدور - فالتَّصوِير متوسِّطُ الجَوْدَة!-، هذا والصُّورة المَذكورة وهي في صفحةٍ واحدةٍ، انتهت عند قولِهِ: «**وشُيُوخُ الطَّرِيقِ مِنْهَا عَرِيَّهْ**»، فبقيَ بَيْتَانِ حسَبَ ما أَثْبَتَهُ مُحقِّقُ الكتاب، وَهُمَا:

لَيْسَ هَذَا تَحَامُلًا فِي القَضِيَّهْ

إِنَّمَــا هِــيَ وَاقِـعَاتٌ جَلِيَّهْ

وَإِلَيْكُــمْ عَقِيــدَةَ الأَشْعَرِيَّهْ

فَالْـزَمُوهَا وَجَانِبُوا البِدْعِيَّهْ

قُلتُ: عَفَا اللهُ عن النَّاظِمِ الشَّيخ عبد المجيد حَبَّهْ؛ فيظهَرُ مِن هذا أَنَّهُ يَعتقدُ في الأَشْعَرِيَّة؛ عقيدَة أَهلِ الكلامِ البِدْعِيِّين! وَأَنَّهُ لم يتَحقَّق كامِلَ التَّحقُّق بالعقيدَةِ السَّلَفِيَّة؛ عقيدَة السُّنِّيِّين السَّلَفيِّين، ولَا يَتخلَّصُ مِن انحرافات الأَشعريَّة واضطراباتِها – أَعْنِي: مَنْ شَبَّ عليهَا- إلَّا مَن عَكَفَ على كُتُبِ الشَّيخَين ابنِ تيميَّة وابنِ القَيِّم (رحمةُ اللهِ عليهِما). نصَّ عليهِ الشَّيخ رشيد رضا في «المَنَار»، والشَّيخ محمَّد المكِّي بن عزُّوز الجزائريُّ الأصل التُّونسيُّ النَّشأَة في بعضِ أَجوبتِهِ.

❖ تَارِيخٌ وَمُدُنٌ:

وَهْرَان الإِسْلَامِيَّة

تحت الاِحتلال الإِسبانيِّ الصَّليبيِّ!



* قال مَارْمُول كَرْبَاخَالْ في كتابه: «إفريقيا» (٢/ ٣٢٩-٣٣٢) – الَّذِي أَتَمَّهُ بَعدَ سنة (٩٧٩هـ= ١٥٧١م) –:

«**وَهْرَان**: مدينةٌ قديمةٌ بناها السُّكَّان الأَصليُّون على السَّاحل، تَفصِلُها مسافةُ فرسخٍ واحدٍ عن «المَرْسَى الكَبِير» جهةَ الغرب. كانت تُسَمَّى على عهد الرُّومان «أونيكا كولونيا»، ويُسَمِّيها البعض باسمٍ آخر. تقع... على بُعد عشرين فَرْسَخًا مِن تلمسان. كانت مِن أغنى مُدُن موريطانيا القيصريَّة. كانت بها التِّجارات الواسعة والمساجد والمدارس والمستشفيات ومحلَّات النُّزُول والدُّور المُعتبَرَة. كُلُّ مَرافقها رائقةُ البناء وأَزِقَّتُها وساحاتها جَيِّدَة الترتيب. لَا تَبعُد عن البحر إلَّا بقدر مَرْمَى الحَجَر، نِصفُها مِن السَّهْل ونصفُها على جَبَلٍ وَعْرٍ. تُوجَد قلعةٌ حصينةٌ فوق الجبل، وتُوجد قلعةٌ أُخرى أَقدَمُ منها ذاتُ حواجز مُوَازِية لِلسُّور الَّذي دَعَّمَهُ النَّصَارَى بأبراج وخنادق عميقة مُحَاذِيَة لأَسَاسَاتِه. وعلى الضِّفَّة الأُخرى لِنَهر يَبعُد بحوالي ألف خُطوة يُوجد حصنٌ آخر فوق جبل يُشرِف على المدينة، وبإمكان النَّاظِر مِن أعلاه أن يستكشف الوادي كُلَّهُ إلى منبع النَّهر. ولهذا الحصن خندقان عميقان، وسُور الخندقين مُبَلَّطٌ تبليطًا جيِّدًا يَتَّسع لأَن تَسِير عليه عَرَبَاتُ المدافع. وبَانِي هذا الحصن هو الدُّونْ بِيدْرِي دِي نَابَارُو عندما تَمَّ له غَزوُ المدينة. للمدينة بابان اثنان: باب تلمسان في جهة الجنوب وباب قَسْطِيلَة في جهة الشَّرق. لا تُحيط الخنادق بأسوارها من جميع الجهات لأَنَّها واقعةٌ على مُنحدر. كان سُكَّانُها فيما مَضَى مِن الزُّرَّاع والرُّعَاة والتُّجَّار، وكان بها كثيرٌ مِن النَّسَّاجِين، ولَمَّا كانت أرضها لا تصلح فيها الحِنْطَة فإنَّها

تتلقَّى كمِّيَّات وافرة مِن قمح المناطق المجاورة، ومدينة وهران معدودةٌ على الدَّوَام في مملكة تلمسان، وقد ظَلَّت حُرَّةً مُدَّة حُروب فاس، كان بها لأمير تلمسان قائمون على الجَمارِك يُحصِّلون الرُّسوم، ولكن لم يكن بها عَامِلٌ مِن لَدُن هذا الأمير ممَّا جعلَ سُكَّانَها يُعيِّنون كُلَّ عامٍ أحدَ أعيانهم يَنظر في خصوماتهم ويَحكم في جرائمهم، وهذه كانت الحالُ عندما وقعَ غزوها. وكان هذا الرَّخاء الَّذي عرفته وكذا جَودَة الميناء المجاور مِن العوامل الَّتي أَغْرَت بعض السُّكَّان بِتجهيز غزوات بَحريَّة ضِدَّ سواحل البلاد النَّصرانيَّة ولا سِيَّما سواحل بلاد الأندلس والمدن المُجاورة[٥٣]. وهذا ما استدعَى القيام بعمليَّة المَرْسَى الكَبِير، ثُمَّ عمليَّة غَزْو وهران الَّتي سنقوم بِوَصْفِهَا.

كيف هاجم الكاردينال خِيمِينِيثْ وهران:

بعد مُرور ثلاثة أعوام على أَخذِ المَرْسَى الكَبِير تَوجَّه الكاردينال خِيمِينِيث أُسْقُف طُلَيْطِلَة لِغَزو وهران بِجيشٍ بحريٍّ عظيمٍ يقوده الدُّونْ بِيدْرِي دِي نَابَارُ، وكان في هذا الجيش عَدَدٌ مِن نُبَلَاء قَشْتَالَة. واقتحم هذا الجيش مدينة المَرْسَى الكَبِير عام ألف وخمسمائة وتسعة [١٥٠٩م]... وكانت عمليَّةُ الغَزْو أسهل مِمَّا كان مُتَوَقَّعًا، ذلك لأَنَّ عَامِل المَرْسَى الكَبِير كان قد اتَّفَقَ مع يهوديٍّ ومُسلمين، وكانوا قائمين على تحصيل واجبات الأبواب لِحساب أمير تلمسان، على أن يُسَلِّمُوا له المدينةَ في مَوعدٍ مَضروب. وبينما كانوا يُدَبِّرون ذلك الِاتِّفَاق إِذْ وصل الجيش، وكان لِكثرة عَدَدِهِ قد وصل إلى البَرِّ في غير ترتيب. وتقدَّم إلى وهران على الطَّرِيق الجَبَلِيَّة. ولَمَّا رأى المسلمون نزول تلك الحشود الكثيرة خرجوا دفعةً واحدةً لقتالهم، ولم يُخَلِّفُوا داخل المدينة سوى عددٍ قليلٍ مِن النَّاس. وعندئذٍ سَنَحَت الفرصة للمتآمرين فغلقوا الأبواب ونصبوا على أحد الأبراج

٥٣- هكذا يُصوِّرُ الحِقْدُ الصَّليبيُّ مُسلِمِي وهران بِصُورَةِ القَراصِنَة المُعتَدِين، وَالحقيقةُ عكسُها! فقد نقلَ الشَّيخ عبد الباسط في أثناء إقامته بِوَهْرَان ما كان يَحيقُ بِها مِن غارات النَّصارى. انظر الأعداد السَّابقة مِن هذه النَّشرة.

صَلِيبًا أحمر كان عَامِلُ المَرْسَى الكَبِير قد أرسله إليهم خُفيةً لِيَتَّخِذُوهُ شَارَةً يَسْتَحِثُّون بها النَّصَارَى إذا وصلوا أمام المدينة. وكان العَامِل المذكور قد أزعج قَارِبًا مِن المَرْسَى الكَبِير لِيَحمِلَ إليه مفاتيح وهران والإعلام بِنَجاح خطَّةِ تسليمِها. وقد بادر الكاردينال بقيادةِ عددٍ مِن الجنود ومعهم السَّلَالِيم لِتَسَلُّق أَسوار المدينة مِن الطَّرَف الآخر بينما كان سُكَّانُها المسلمون يُوجَدون خارجها. ودَخَلَهَا النَّصارى بِدُون مُقاوَمَة كبيرةٍ، وهاجموا المسلمين مِن الخَلْف وهُم يُقاتِلُون النَّصَارَى **فكَانَتْ مَذْبَحَةً عَظِيمَةً في المسلمين**. ونجا منهم مَن نجا، ففَرُّوا مُتَشَتِّين في الحقول بعد أن رأوا سقوط مدينتهم وهزيمة جيوشهم، تاركين النِّساء والأطفال والمتاع لمشيئة أعدائهم. وهكذا تَمَّ أخذ المدينة، **وإن كان بعض المسلمين قد صَمَدُوا خمسةَ أَيَّامٍ في دار الفقيه، وكانت مُحَاذِيَةً لِلجامع، ولكِنَّهُم في النِّهَايَة لم يَستَطِيعُوا النَّجَاةَ مِن الفَتْكِ أو الأَسْر.**

ولم يهلك مِن النَّصارى سِوى ثلاثين مِن الرِّجال... **وكان عَدَدُ مَن قُتِلُوا أو أُسِرُوا مِن المسلمين في هذا القتال أربعة آلاف.**

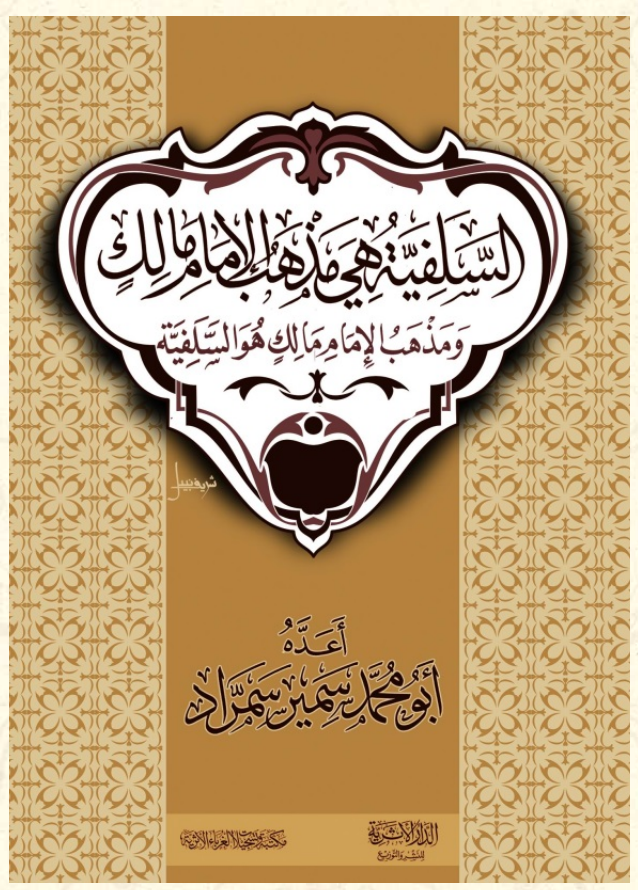
وبعد هذا النَّصر عاد الكاردينال إلى إسبانيا تاركًا الدُّونْ دْيِيگو القُرطبي عَامِلًا على وهران ومعه حَامِيَةٌ جيِّدةٌ. وكان المالك فِرْنَانْدْ يَرغبُ في أن يَدفعَ بِفُتُوحَاتِهِ في هذه الجهات إلى أبعدِ حدٍّ ممكنٍ، لولا أَن صَرَفَتْهُ عن ذلك حُرُوبُ البَابَا مع مَالِكِ فرنسا والبنادقة. **وكَانَ أَمِيرُ تلمسان يُؤَدِّي لهُ المَغْرَم**... »إلخ.





إصداراتٌ:


رُعْبُ الوَهَّابِيَّة»؟!
أو: حوارٌ مع إعلاميٍّ «ناقم» فيما كتبه بعنوان:
«حتى لا يحتلنا الوهابيون»!
أعدَّهُ
أبو مُحمَّد سمير سمراد
الدار الأثرية للنشر والتوزيع


السَّلفيَّة هي مذهبُ الإمامِ مالكٍ
ومذهبُ الإمامِ مالكٍ هُو السَّلفيَّة
أعدَّهُ
أبو مُحمَّد سمير سمراد



مصابيح العلم

6

العدد السادس، شوال ١٤٤٠هـ | ماي ٢٠١٩م

نشرةٌ دعوية تُعنى بالتراث والمخطوط والسِّيَر والتَّاريخ

- كِتاب «الكَبَائِر» لِابْنِ القَيِّم

قُطُوفٌ مِن كِتابٍ مَفقُود!

- لاَ تُسِيئُوا الظَّنَّ بِبعضِكُم، إِنَّ الشَّيطَانَ يَنزَغُ بَينَكُم!

مِن وَصَايَا الإِمَام ابن بادِيس

- وَصِيَّةُ عبد القادر الفاسيِّ

إلى أبي سالمٍ العياشيِّ

مسجد الباي محمد بن عثمان الكبير - وهران